المجلس الأعلى للثقافة

الحلم والأسوار

شعر

حسين على محمد

الحلم والأسوار

شعر

حسين علي محمد

القاهرة
١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م

الإهـــداء

الى محمد وفاتن وأحمد وسامية

اشراقة الأمل المتجدد كل صباح

حسين

مقدمة

ديوان «الحلم والأسوار»

بقلم

عامر محمد بحيرى

عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة

مازالت قضية «التجديد فى الشعر» هى الشغل الشاغل لشعراء هذا الجيل ، وخاصة الشباب منهم . كما كانت كذلك لشعراء الجيل السابق عليه ، وكما سوف تكون لشعراء الأجيال التالية له أيضا ..

ذلك بأن الشاعر الحق هو الذى يصدر عن ذات نفسه ، ويعبر بصدق عما فى ضميره .. ولذلك وقف الشاعر الجاهلى على الأطلال لكى يعبر عن الحنين الذى يحسه نحو أحباب راحلين .. لا ليخاطب تلك الآثار البالية ، والدمن الدارسة فى ذاتها ، كما يتخيل البعض .. وانما يصدق فن الشاعر ويتميز ، عندما يستطيع

أن ينطق هذه الجمادات ، بما يعتلج فى نفســه هو من مشاعر واحساسات ، فيكون بذلك أبلغ تأثيرا ، وأجمل تصويرا •• فلما انتقل الشعراء من مواطن البداوة ، الى مواطن الحضارة والعمران ، تغيرت نظرتهم شيئا فشيئا، كما تغير أسلوبهم في التعبير كــذلك •• ودخــل عنصر ثالث مع تقدم العلوم والمعــارف ، بما ترجم من آداب الامم الاخرى وفنونها ، وبخاصة الموسيقى •• مما حدا بشاعر عربى مرهف الاذن ، رقيق الحس ، الى الوقوف عند حــركة الصــوت والنغم ، لينشىء علم العــروض والقوافى ، الذى كان يجرى عليه الشعراء من قبل ، دون أن يعرفوا عن حقيقته شيئا ••

وفى عصرنا الحاضر ، بدأت نهضة الشعر ، بالمثقفين من الشعراء ، الدارسين للغات الأجنبية ، بالاضافة الى أصالتهم العــربية •• فكان البــارودى يجيــد التركية والفارسية ، وشوقى يجيد الفرنسية • وقامت بعد ذلك مدرسة الديوان ، وعلى رأسها العقاد وصاحباه • الذين كانوا يجيدون الانجليزية ، ومن آدابها أخــذوا أصول مدرستهم •• ولم تكن مدرسة أبولو التى رادها أبو شادى، وهو يجيد الانجليزية ، بعيدة عن ذلك أيضا ••

واليوم تقوم مدرسة جديدة •• هى بلاشك حصيلة

تلك الجهود المتوالية ، المتواصلة ‥ بدأت بذورها فى الثـــلاثينات ، ثم الاربعينـــات ، حتى اســتقرت فى الخمسينات ، عند مدرسة الشعر الجديد ‥ التى كان من طلائعها صلاح عبد الصبور ورفاقه ‥ وقد استطاعوا أن يضعوا أساسا لشكل جديد من التعبير ‥ ان كان قد اتسم فى مضمونه أحيانا بالغموض ، والرمز ، فقد كان يقربه الى الآذان ، والأفهام ، مايتســم به ـ فى نفس الوقت ـ من طرافة ومعاصرة ، هما سمة كل جديد ‥ حتى مال اليه كثير من الشباب ، لسهولة نظمه ، وتحرره من قيود الوزن المتصل ، والقافية الرتيبة ، فى كثير من الأحيان ‥

على أن هذه المحاولة الجديدة ، من الشباب خاصة ، بعد أن تأصلت وسارت فى طريقها قدما ‥ الا أنها لم تؤثر فى أصالة الشــعر الموروث ، الذى ســمى حينئذ «بالشــعر العمودى» ‥ لالتزام القاعدة العريضــة من قائليه بالقواعد المعــروفة من قديم بعمود الشــعر ‥ ليجيئوا به على الصورة التى تسلكهم فى عداد كبار شعراء العربية ، على مدى العصور ‥

وأما حركة التجديد فى ذاتها ، فقد ظهر فيها شعراء مجددون مجيدون ‥ بعد روادها الأوائل ‥ يحافظون

على العربية السليمة ، ولا يتحللون من قيود الفن الشعرى الأصيل ، الا بمقدار ماتلجئهم اليه ضرورة الفن نفسه .. وهى تتطلع الى المزيد ممن يدركون حقيقتها ، وأنها فى حقيقتها اضافة للشعر الأصيل وليست سلبا منه .. ومن هنا كان الترحيب بكل شاعر موهوب من الشباب، يحاول التجديد مستندا فى نفس الوقت الى أصالته ، معتزا بقوميته .

★★★

من هذا المنحى أقدم بين يدى هذه المقدمة ديوانا جديدا ، هو ديوان «الحلم والأسوار» .. للشاعر الشاب حسين على محمد .. ويمتاز شعر هذا الديوان بالطرافة والمعاصرة .. ومع أن قصائده تجرى على نظام التفعيلة الواحدة ، الا أن تنسيق الأبيات والأدوار فيها ، يدل على شاعرية رقيقة ، وثقافة محيطة تغلفهما أناقة ، وحسن ترتيب .

واذا كان كثير من نماذج الشعر الجديد مازال يتسم بالغموض ، فان مايميز هذه المجموعة أنها على عكس ذلك .. فقصائدها وأبياتها تتسم بالوضوح الكامل ، كأنها شموس مشرقة ، تعبر بالقارىء فى رفق وسهولة ، الى معانيه وأغراضه ..

ولا غبار على لغتــه العربية السليمة ، وأســلوبه القصصى الرائق ، وتعبيراته المتزنة الجذابة ·· وهــذه الانطلاقة التى يمضى بها فى التعبير ، هى التى ألزمته أن يتخذ من الشكل الجديد اطارا ·· لايبعد به عن أصول اللغة ، ولا يجافى قواعد الشعر الموروثة ·· وان كانت تضــطره فى كثير من الاحيــان الى الاندفاع ، وعــدم التوقف ، حتى انه ليلجأ أحيانا الى ما قد أسميه «بالقصيدة النثرية» ·· رغم أنها تلتزم التفعيلة التزاما دقيقا ·· كما فى قصيدة «الحلم والأسوار» مثلا ··

على أننى حين عرضت هذا الرأى الأخير ، على لجنة الشعر الموقرة بالمجلس الأعلى للثقافة ·· تفضلت الزميلة الشاعرة ملك عبد العزيز ـ ولها منزلتها بين رواد الشعر الحديث ـ فأوضحت فى تقريرها للجنة تحفظا على تسميتى هذه القصيدة ، وما يماثلها «بالقصيدة النثرية» ·· وفضلت أن تسميها «القصيدة المدورة» ·· باعتبار أن الأسطر تتلاحم ، كما يتلاحم شــطرا البيت أحيــانا فى القصيدة العمودية ، فيما يسمى بالتــدوير ·· وذلك تمييزا لها عما يسمى فى الادب الحديث «بقصيدة النثر» التى تخلو تماما من الوزن ··

ثم قالت الزميلة الشاعرة : وهذه القصيدة المدورة

•• من الممكن تقسيمها دون عناء الى أسطر مع الاحتفاظ بالشكل في آخر السطر دون أن يؤثر ذلك في طبيعتها ••»

وهذه العبارة الأخيرة لها دلالتها الواضحة •• فقصيدة «الحلم والاسوار» - يمكن أن تبدأ هكذا :

ـ « قلبي يتمزق شلوا ، شلوا
بين الصامت والهائج
والاخوان البررة صمتوا • وابتعدوا

ـ والقمر أراه غريبا في داري ••
لم يتفوه بالكلمات الطيبة ، ولم يضحك في حضرتنا

ـ أراك تشيح بوجهك عني
وزهور ربيعي تذبل واحدة بعد الأخرى
والرأس اشتعلت شـيبا
وتظل العينان تجوبان الآفاق ، وترتقبان !»

(أنظر القصيدة على صورتها المدورة بالديوان)

★★★

هذا ، ويشتمل ديوان «الحلم والأسوار» على خمس عشرة قصيدة ، تمتاز بالطرافة والتشويق • وآخـرها ثلاث قصص شعرية للأطفال هي : الفيل الوفي ، والثور

العجوز ، وملجأ الأيتام ·· وهى فوق ماتشتمل عليه من الحكمة ، قد صبت فى قالب سهل ، يقربها لأداء الغرض الذى وضعت من أجله ··

أما المضمون ، أو المحتوى ، فيظهر منه أن صاحب هذه المجموعة ، هو أحد الشباب المتعطشين الى المثل الأعلى ، يؤذى شعوره أن يتسلط الباطل ، ليحجب شمس الحقيقة ، التى يتطلع اليها كل شاب مثله ، له أمل فى مستقبل مشرق بهى ·· وأما ما تحمل هذه المعانى من «الرمز» ·· ـ وهو كثير ـ فمرجعها الى تفسير الشاعر نفسه ، فيما تتيح له حرية الرأى ليقول مايحس به حتى يكون صادقا مع نفسه ··

ولا أختم هذه المقدمة ، دون أن أشير الى أننى سعدت بقراءة هذا الديوان بصفة خاصة ، لأنه أعطانى صورة مشرقة لتحول واضح فى نماذج الشعر الجديد ، من حيث طلاوة التعبير ، ووضوح المعانى واشراق الديباجة ·· وأرجو أن يسعد القارىء معى بذلك ··

عامر محمد بحيرى
عضو لجنة الشعر
بالمجلس الأعلى للثقافة

محاورة وجـــه لايغيب

- ١ -

جسدك مملكتى :
أقترب من الهيكل ، أنقش رسمك واسمك ،
أقف أطالع خطوتك البيضاء ،
وهذه الكرة الزرقاء أراها تتداخل فى الصحراء
المترامية . الكرة الحمراء
فأدخل فى مملكة الأزل
وأترك تيجانى قدام الباب
وأحمل أحـــزانى ،
أدخل مع أطراف اللوتس فى جدل أخضر
« كم أنبتتك النيل عفيا !
هاأنت تتيه على الأقران
وتنعقد على أرؤس جمع الفقراء

اشارة حب خضراء
للخيل النافر فى مملكة الغضب نهارا »
(نتجمع تحت النقع لنهرب
أو نتشرذم فى حوصلة الليل المدبر
ليس من البدعة أن أحمل خاتمك وأهرب
من ديجور الظلمة أخرج ،
وذباب الخوف يطن ويملأ أدغال النفس خداعا
(بجنون أحببتك
فى هذا الزمن الفظ ،
وأبعدت الوجه وقلت :
أسافر ، تفتح أبواب الهجرة قدام الجمع)
فيسرى ظلى تحت الأسوار ،
ويتمدد فى الشوك المغروس بأعماقى نصل الحكمة
أرتفع ، أصير هلالا
وأعانق مئذنة المسجد
قالت أمى : تحت سنابك خيل السوء يموت الأبناء
أراهم قططا خرســاء
تموت من الخــوف

وترتحل فلول الأحباب
فأعرف أنى أصبحت قرين السوء
أواجه هذا الغضب الجامح ،
أسلحة الفقر أراها مشرعة
ناطورا كنت ،
فتندفع كلاب الحارة تقضمنى
وأنا لا أقدر أن أدفع عن هذه المزروعات غرابا أسحم
أحمل وجهك وأغامر
لا أنتظر مجىء الصبح ، وأسعى
نتخاصر فى حب يثمر

ـ ٢ ـ

وقف الشجر اليابس ينتظر الغيث
ويرفع ألوية الشوق الى الرب فروعا عجفاء
يصلى فى ظمأ المحروق : الهى
كم أشتاق الى ضماتك فامنحنى بركات الغيث
وينتفض الصخر ،

وتصعد من جوف الصخرة ذرات الغضب المبصر
يصهل خيلى :
محروقا كنت أناجيك
فهل تسقينى من مائك
أو تؤوينى فى ظلك ؟
أو تهتك ستر الخوف فتصل النسمات المرتقبة للجوف
(يعود الصوت المخنوق يحلق فى الأفق
فترحل أفراس النهر ،
وتدفع بابا موروبا ..
يختلط الظل ، فيصهل فرس أشقر
ياأفراس النهر اشتاقت كلماتى للماء ،
فعودينى بالماء .
اغبرت أوراقى .
أنتم ياصحبى مازلتم تلتقطون الأنفاس ،
وأدلف للجب وأجمل جرحى
أغسله فى ماء البئر
وأخرج دلوي ...
سوف يجىءالأطفال الخضر ،

ويحبون على بابك
تنتفخ الأثداء وتعطى لبنا
دفئــا
حبــا
(هذا عصفور الفجر على النافذة
وهذى الحسناء أراها
... ينبعج البطن .. ويكبر !)
١٩٧٨/١١/٢٩

١ ــ نبوءة عراف مجنون

قصيدتان من محمد جبريل

(فى عيد ميلادى التاسع والعشرين)

ــ ١ ــ

★ قال العراف لزيد : تحمل شمسا فوق الرأس وتخرج ذات صباح من سرتك النور ، وتبسم ساعتها سوف تدحرج فى زبد «المتوسط» حزن العمر ٠

★ برج الثور يدور ، وأنت تضاجع حزنك ، تدخل فى رحلات الكشف الباهرة ، وأنت تغنى ، ترقص فى وهج الشمس ، وتصنع من شعرك أفراسا تركبها فى المعمعة ، وتطلقها من مدن الحلم ، وتصعد طبقا عن طبق ، تجتاز الوهم ، فأنت الحرف الصاعد منخاصرة الريح ، وأنت الجمرة فى ليل الثلج ، وأنت الفرس الأشهب في عرس النشوة ، أنت النجم الواعد ببزوغ الفجــر

★ أنت النافخ سر الصحوة ، هـذا جسـد البلد الميت يصحو مع دفقات الريح ، وهـذا جسدى ـ العـاشق ياشيخى ، يهفو للرايات الخضر .

★ خذنى خلفك أنقذنى من يم الصحف السوداء ودعنى أركب قاربك القزحى ، وأضحك لليم .. أدحـرج حزنى فى قاع البحر

— ٢ —

★ سمعوا ماقال العراف

★ ضحكوا ، والوجه الخائف يلقى كرة الماء على الأعراف .

— ٣ —

★ ألقوا زيدا فوق تراب مدينتنا الصـامت ، أبصرت الخنجر فى الظهر ، وأبصرت الجسد الفارع مرميا فى حـارات الخـوف ، وجيش ذباب يلهو فوق الجسم ، وعراف مدينتنا يصرخ :

فى الليل رسمتك ،
فى الأبواق نفختك ،
رغم الهذر الحانق يصعد نجمك يالؤلؤة العصر .

★ حدقت بعينيك المبصرتين فأبصرت الأشجار تميل من الاثمـار ، وأبصرت النهر يفيض ويمنحنا الخـير ، وأبصرت النسوة فى زمن العقم يلدن رجالا و بنات ممشوقات القد ، نحيلات الخصر ۰

★ و «بهية» تصحب ياسين وتمضى ، والقلب يشع بنور الحب على الأحياء ، ويصطحب الأشياء ويضرب دف الفرحة ، تنطلق زغاريد النسوةفى الدور المنخفضة، والأطفال أراهم ينسلون منالدور ويجرون يجيئون، يقولون حكايات عن نجم يبزغ ، يمنحهم دفء الوعد ووهج الشعر ۰

ـ ٤ ـ

★ «زيد» مات صباحا ، والعـراف الثاقب كان يغنى قبل سويعات : «فى الليل المظلم يصـعد نجمك فى أعلى عليين ۰

۰ ۰ ويدق السور ، ويلقى للأفواه المشدوهة حبات الحنطة ، وثمار البلح الأحمر ، وحفاة الأرض يدقون الأرض ، تدق الأجـراس ، وتشـتعل الأرض بنار الغضب وتسرى فى الأوردة دماء التكوين» ۰

١٩٧٩/٥/٥

٢ ـ الخيوط

★ كان ترام مدينتنا يمشى فى الليـل بطيئا يتثاقل ، كالسيدة الحامل ، وجباه الخلق تغوص ببحر العـرق اللزج ، وأجساد النسوة تلتصق ، وتختلط روائحها: رائحـة الابط ، وكولونيا باريس ، وعطر المرآة وأنا ....

ألصق صدرى فى صدر امرأة ، فتعنفنى عينا رجل ممصوص ، ويبسمل ، ويحوقل ، وعلى السلم رجل يرقص قردته ، ويغنى ـ واللحن ذبيح فى الحلق ـ

« أتعرف من نحن ؟ لقـد كنا فى يوم سـادات العالم ، كنا فى يوم من فجر البشرية نعبر هذا البحر الأحمر ، نبنى الأهرامات ونحمي الأديان، نقيم الصلوات ، وكم أعطينا .. من أورثنى هذا الفقر .. وهذا الذل .. فسال دمى .. وبدون ثمن »

...

« فى طرقات الأحجار الصلدة أمشى
وتفيض الأرض جفافا
جـوعا
قهـرا
خـوفا .
وتفيض الأرض وتمنح مغتصبيها
قمحـا
ونبيـدا
وجسوما غضه
وعطورا باريسية
ونهودا من مرمر
من يمسح عنى قهرى ؟
من يمنحنى لحظة دفء وسعادة ؟ »
والدمية تلهو فى صدرى ، وتحدثنى .. عاشت
عمرا بالطول وبالعرض وفاضت لحظاتى
قهـرا
خـوفا
جبنـا

أبعدت الوجه (فهذا وجه من صلصال
يختلط الشعر ـ الموج بصدر الرجل الأصلع
يبسم منتشيا ، فتتمتم
« وجدونى وقت بزوغ الفجر
لما مزق ضوء القمر الشاحب أردية الظلمة
فى ذيل الشهر ، مفاجأة تحت الحائط ..
(وجدونى حيا أتكلم .
وعروس من صلصال فى حضنى .
كنا نفترش الرمل ونضحك
والعينان تروغان
والوجه الأبيض مصبوغ بالحمرة
والنهد المكسور يحاورنى
من جعل الأرض الخصبة لاتعطى غير الأطفال
الجـوف ؟

ـ ٢ ـ

ومض البرق الليلة
فابتلع الضوء ترام مدينتنا الأملس

وتعرى جسدى المنخور
وكانت ساقى المبتورة تتدحرج قدامى
والنسوة يجرين ويهبطن ويبسمن
وساقى مبتورة ·
أرفع رأسى للنور ، وأضحك
أصنع من نغمى قداسا
(كيف سألحق بالفاتنة) وأرقص
يتشرنق هذا الجمع
وقدامى تمثال آخر من صلصال
ينحسر الثـوب
. . . . . .
حـرس الجامعة الليلة
أخرج آسلحة ماكانت تخرج
فتدفق نهدا «سلوى». باللبن
وشرب الجمع
انكب الشرطى على النهد المتكلم
أخرسه بالسـونكى
وظل يطارد «سلوى»

برصاصات في الجيــد ،
وســونكي في الصــدر

ـ ٣ ـ

اختفت الفرحة من وجهى
بعد ثوان منحونى دينارات نفطية
عدت أغنى للشرطى بصوت يتسربل فى الفرح اللونى ،
ويملأ هذى الحافلة المكتنزة باللحم البشرى
... ...
وكان رصاص أرعن ..
يقتل هذا الفرح المرسوم على الأوجه
فترانى أصرخ فى صوت يتلون بالوطنية
: كفــوا
حتى يستمتع كل منكم بغنائى

١٩٧٨/٥/٩

خمس قصائد من محمد الراوى

١ ــ تهليلة الدخول الى عالم الجد الأكبر :

أبصرها تمضى فى الطرق الفظة ،
وتعانق وهمــا
ودخان فى الآفاق يزمجر
أبحث عن بارقة حنان
هذا غصن أخضر من غابات الزيتون
وشاعرنا المجنون يخبىء عاصفة
فى جيب المعطف

* * *

أحببتك ياشجر الغيث
وتحت فروعك عشت أصلى
أحلم أن تمطرنى أشجارك بالسلوى والمن
وأسأل أيامى أن تعطينى قمر البهجة
لكنى أتقدم عبر دهاليز الحزن

ولا أبصر قدامى غير الأفراس الملتاعة ،
تبكى
(هل أحيا لأموت ؟
وهل أحيا لأعانق أشرعة غروبى ؟
انى أبحث عن بهجة أيامى القادمة
على كفيك خذينى)
فوق شفاه العاشق كلمات خضر أرقبها
قد تأتى بين اللحظة والأخرى
تخرجنى من شرنقة الحزن فتيا ومهيبا
(لن أنساك ولن تبعد خطواتى عن دربك
لن يحدث أن تتحول أيامى ظللا
فخذينى للشمس الحارقة وضمينى)

٢ ــ نقوش ضوئية فى كراسة صفوان :
عيناى معلقتان
الهدب النارى يؤججنى
نم .. نم
فالبر أمان

ما ان تقبل
حتى أجد دموعى
(القط يموء)
(الساعة دقت)
(تن .. تن)
ماذا فى الأعماق يزمجر ؟
« سكرنا حنظل
ندخل فى الجب
ونخشى عسس الليل ،
تعالى ، وانكمشى فى داخل قلبى
ثديك ملآن
انتفضى
يرغل فى شفتى الثدى ، تعالى
يهتز سريرى
الوحشة ترهقنى
(من أنت أيا قطة ليلى ؟)
ان الحب حرام فى المدن القزحية
عيناى معلقتان على نهديك اضاءة حزن

فى الزمن الخارج من خارطة النرد
انتفضى ..
كونى قمرا يؤنس وحشة عمرى
كونى دفقة حب تلتف بأعراق القلب
وكونى دفئا فى الليل ـ الثلج
وكونى سكر أيامى

* * *

يا أنت ، انتفضت أروقة الفجر
فمزقت الأوراق
تعالى فى الليل صراخك
صوتك فظ
فخذاك الخشنان ...
وتلك شعيرات فى الصدر ..
ومن قال بأنى أحببتك ؟
أصعد درجات السلم
ينتفض القلب
أقلب كوب الشاى

آدخن حلقات العمر ـ النارجيله
آين ؟ . . انتفض شبابى الغض
وساقى المكسورة ترتج
دمائى ترسم فوق الخطين خطوطا سوداء
(انبعجى
بطنك يكبر
تنتفخ الأثـــداء
ويولد شاعرك الفحل على الفخذين
تعلم آيات العهر من المهد
تعاليت على زماننا
فابتعدى عنى ياتفاحة شبق
لاكتها الألسن فى المدن الليلية
وابتعدى
لم ألمس أوتارك فى السحر
ولم أعزف نغمة نزقى بين يديك
فهل أجدك قدامى فى الصلوات
كشيطان أمرد ؛
هل أجدك فى طرق الله تسدين الباب

وهل تختارين «يهوذا» معبودك ؟
يامن أنهكك التجوال
تعالى نتطهر ، نخلع أثواب الردة
نمتزج سويا فى محراب لم تصنعه الأيدى المتسخة
فى الليل ،
تعالى نشهد ميلاد الشمس على عتباتك
يشرق فينا الله
ونولد

٣ ــ سيناريو لسارة حينما خلعت الثوب :
سارة تهبط بطن الوادى
تفتح حضنيها للشمس ،
وتنزل ،
تنفتح نوافذ قريتنا
تبحث عن هذه الداعرة ــ القديسة
صلوات تتصاعد فى المحراب
وعين الجد الأكبر «منصور» تحلم
بالأرض الموعودة ،

تتشقق تربتها
يخرج من أفخاذ الأرض صغار
كالجن اللاهث
يحبون على طرق القرية
يمشون وينطلقون الى آفاق الشمس
(بأصوات تتداخل)
ـ انك ترحل
ـ أين ستذهب ياشيخى ؟
(خرجت من فتحات الثوب الأبيض نار)
ـ من أشعلها ؟
ـ الشيخ الآن يناجى من يهواه
ـ وانى ...
الشيخ الفانى يصرخ :
سارة ، فصلت من الليل لباسا
وانشقت أستار الأرض عن الجسد البللورى
تمطت أشجار السنط
وحدقت فأبصرت الجسد الجنة
يتشرب آفاق الظلمة

ينخر فيه الدود
صرخت : تعالى
قالت : انى أهبط للنهر وأغتسل الليلة
قلت : غدا رمضان ، فهيا نحمل مصباح الرغبة
قالت : هل نتكاشف
قلت : تعالى
قالت : ماعاد القلب يحب كما كان قديما
قلت : سنسهر قدام الشاشة ، نبصر فيلما
قالت : نتعرى
قلت : فانى أحمل فستانا أبيض
قالت : الولد ببطنى
يرفسنى صبحا وعشيا
ويحاورنى
قلت : وانى أعددت المهد
فقالت : ذاك بعيد ، وعصاك عقيم
لن تضرب بحرى
قلت : تعالى
قالت : ٠٠ فاتركنى كى أنزل للنهر وأغتسل الليلة

٤ ـ تهليلة ثانية ليوم العرس :

★ ضمتنى تحت جنـاح الليل ، وعـركت أذنى لكنى آتقدم عبر دهاليز الحزن

وقالت : كن فرسا يحملنى للبر الآخر ، ولتثمـر أشجار الصوت اليابس فلا ورياحينا فى قلبى ٠

★ ضحكت ، نثرت فوق الجسم العارى ضحكات ، جذبتنى ، ردتنى طفـلا قلقا ، فانشـطرت كل الأبيات المكسورة فى دربى ٠

★ ضحكت ثانية ، هزت رجليها ، فانطلق المهـر الأشهب يعبر هـذا النهر ، الهى كم أخشى هـذا الموج فلا تحرمنى من نصرك فى اليم ، وأسألك الهى ألا تغرقنى فى الماء العذب ٠

★ حين عبرت ، وألقيت الجسد المشقوق على الأرض الخضراء ، وصليت ، وأنشدت ترانيمى العلوية ، لم أبصرها فوق الأبـواب الوردية وشـما نوريا (دفعتنى كل فـلول الليـل ، وألقتنى فى جب الخوف) :

★ طلعت من فك الليل عروس ، غمرتنى بسمتها الفلكية ، جذبتنى من طين الأرض ، وضمتنى

« سارة » ـ محبوبا كنت ـ أسائلها :

ـ من أنت ؟

فتهمس : (اني خد السيف

★ جسدى يعبق بالنرجس والزنبق

والشوق لخيلك

سوف أظل جوارك)

ـ لن يفصلك جدار الليل عن العاشق

ـ أنت أنا

(سنبلة خضراء أراها تنبت فى ضلعى الأيسر ، قلبى يتبرعم حينا ، أبصرها تخـرج من أسـداف الظلمة تحملنى طفلا أخضر فى أثواب بيضاء ، وتلقينى فـوق الأرض ، وتخـــرج من سرتهـا قمر الضيف)

٥ ـ سطور مشنوقة

فى كراسة سارة :

يدك الدافئة المورقة ربيعا وحنانا

تخرجنى من صمتى

تصرخ فى وتؤلمنى

(قل شيئا وتكلم
يقصيني عن بابك ألم وحشى
وستهزمنى الحسرة)
هذا زمن الصمت ، فهيا نرحل فى صمت الكون
وندلف للباب المفتوح صباحا وعشيا
نملأ أكواب الحب ونحسوها فى حضرة من أحببنا
(لم أسرجت المهر الأشهب
لم قاتلت الدنيا من أجلى ،
من أجل العينين السوداوين ،
وينكص فرسك
لم أبعدت الأذنين عن الصوت الفرد
ورحت تجوب الغربة بحثا
عن قمر يشرق فى ليل العمر ؟)
ظلام وضباب
انى لاأبصر شيئا
صوتك يصرخ فى أعماقى
مد يديك وخذنى من قسوة أيامى
كن لى حبا .. دفئا !

١٩٨١/١/٨

قاهر الخـوف

(الى مثال الكمالات الانسانية
محمد بن عبد الله)

ـ ١ ـ

★ المطر على نافذتى ،
أنتظرك ،
تلك تقاسيم الزمن الأجوف
أبصر سيفك مسلولا ،
لاتلقيه
وتمضى ليلك فى وصل مع ربك
تبحث عن لحظة نور
عن جرعة عشق
تمسك بأعنة خيل الفجر
وتحلم بالنور

وتنشر ثوبك فوق الباب
لعل الشمس اليقظى تطرد ليلا يمتد
المطر يرخ
ومازالت في الآذان بقايا صوتك
ودماغى ـ فيه الجهل يعشش
هذى الرأس ستقتلنى
وأظل أخادع نفسى
أصرخ كى أسمع صوتى
أعرف أنى نافورة حب تعطى الأيام رحيقا
لكنى جئت الليلة من أسفار الحكمة
وصناديق الموت ٠

★ مازلنا نحلم أن تأتينا ذات صباح
تحمل بين يديك الشمس الخضراء ،
وتزرع في صحراء النفس القلقة نورا ،
لاتطفئه الأيام السوداء
صدقت
فجئت

ـ ٢ ـ

★ في منتصف الليل أتيت ،
تعالت شمسك تسطع
وتنير الكون ،
تساءل كل منا في وجل :
ماهـذا ؟
انا لم نبصر قبل الليلة شمسا
تشرق في منتصف الليل ،
تعال ، فانا نعرف أنك فرد منا
تعرف مايشغلنا
ترفض أن يبقى الخوف يعربد في الدار
ونعرف أن الوقت يحين ،
وتشرق شمسك فى الأرجاء
وتملأ صحن البيت ٠

★ قل لى : كيف عبرت الخط الفاصل بين ظلال الأشياء
وكيف تحطمت الجدران الصماء
أعدت الأرض تدور

ولكن : كيف تغيب الشمس
فمازلنا ننتظرك فى هذا الزمن الوغد
تعال ، وطهرنا من أدران النفس اللوامة
فالزاد قليل
والسفر طويل
والشك يمزقنا فى طرق الليل ،
الناس نيام
وعلامات طريقى أنكرها
(هل هذى أعراض الموت ؟)

— ٣ —

★ أصوات النسوة والأطفال وأشياخ طعنوا فى السن
تناديك ...
فهذا الجهل الوحشى يحاصرنا
سنزيل ركام الأشياء المتغضنة العفنة
صوتك من أعلى عليين ينادى
هأنذا مقطوع من تربتكم

وغريب فى ساحتكم
لكننى رغم الزمن الآبق
سأظل آنادى
حتى تطلع شمس الله على الأرض الطيبة
ولن أخلع جذرى من تربتكم

١٩٧٧/٥/٩

صفحتــان

من يوميات عبد الله بن أبى

١ ـ الخروج من الحلبة :

الليل الموغل فى الأعماق يلملم ثوبا فضـفاضا ،
ويصفق للأكواب المخمورة
اذ تصطك وتفرغ فى الجوف الظامىء
تنتصب الرايات الحمر على دور بغايا القوم
ويصطرع السادة
« أعينكم تلتهم المبغى
فلتعبث أيدينا فى الشعر الذهبى
وتغرس فى اللحم ،
لنرحل عبر الليل الى مدن النشوة
واللذة
نبعد هذا الكابوس : الخوف من النار المشتملة »
فى أعمدة الليل حكايا عن جن الصحراء

وهم يلقون النبأ :
سيعلو نخل الصحراء فتيا
وستشرق «يثرب» شمسا
تتربع فى وسط نهار لايتأخر عن موعده ،
فانتظرى أصفاها قلبا
اذ يحرقه الحب ويدفعه طوفان الشفقة
أن يأخذكم فى حضنيه
وأن ينشر أجنحة خضرا تحميكم
من شمس الخوف القائظة
وينصب فى الصحراء الفردوس
« طلع البدر علينا ! »
فلتستقبل يثرب ملكا غيرى !
« قالوا : خير رجال الأرض »
فهذا رجل شق الحجب
وضم الغيث اذ الصدر النابض بالكلم الملغز
والغيم سراب يخدع فى الصحراء
تعالت أصوات الأوس صراخا
« مادامت فى الجسد بقية رمق سنحبك ،

نحتضن الكلمات الخضر
ونحمل سيفك
وندافع عن كلماتك
ننشرها شرقا ـ غربا
فى أرجاء الأرض سنرحل
والنوق الضامرة تسافر راكضة
والبلد ـ الطيب (ياويحى !) ...
يفتح كفيه لنور الشمس !

★ هل مر بخاطر زوجى أن الليل سيرحل
ونبوءة ولدى تتحقق
هذى حبات النور تداعب جفنيه
فيخطو نحو النبع
ويصهل فى ذاكرة الأيام سؤال مجنون
يتدفق من شفتى :
لماذا أبصر فى الساحة أقدام حفاة الصحراء
ـ عبيد القوم ـ وقد رفعوا الرأس ؟

٢ ـ آخر البكائيات :

★ وحيدا تقاذفنى الموج ، والليـل كان ، وكنت أغنى هزيم الرعود ، وصوت الطيور ، ويزأر فى صهيل الرياح ، انطلقنا مع الليـل ، تعبق رائحـة : أين أنت ؟ تعالى ، فانى أعود مع الفجر نصف شعاع على الأرض تنزف منى دمائى ٠

★ وأنت تغنين ٠٠ جسمك يمنحنى فيئه ، وكفك ـ مالى أراك انتفضت ؟ وبرد شديد يزج ضلوعى ٠٠ أقول : تزملت بالورقات العجاف ، تدثرت بالخوف ، يخذلنى الصخب ، عشت جبانا أبيع الحروف ، أمد يدى لسبط يهوذا اللعين ، أفتش فى جمرة القلب عن بعض أعواد «خيبر» كى أتلظى بها فى ليالى الشتاء٠

★ عشقت بساتينك اللاهثات من الجرى خلفى ، لمـاذا اذن أبعدتنى الخطا عن طريقك ؟ انى أعود ليثرب ، للظل والأغنيات (تشرد عصفورنا فى زمان التراجع والقهر والأغنيـات البليدة) بينى وبينك عمر من الحزن ، لاتطرديني عن الصدر ، انى أود غناء قديما، وحنجرتى يتبلد فيها الكلام ، لماذا نشرت على وجهك الحلو ثوب البكاء ؟

★ أغني سكارى «قريظة» ، هل يرجعون الى الرشد ذات
صباح ، نسل السيوف ونطــرد ذاك الذى قد أتانا
فمزقنا فى النهار ، أتغضب منى الحبيبة حين ترانى
أغنى لسبط «يهوذا» وأحفر مقبرة الندماء ؟

١٩٨١/٦/٢٥

الحلم والأسوار

★ قلبي يتمزق شلوا شلوا بين الصامت والهائج ، والاخوان البررة صمتوا وابتعدوا ، (هل يدفعنى الدنس الصاعد من قذر الهذر السفلى الى الخاتمة ينبعثر أشلائى ؟) والقمر أراه غريبا فى دارى ، لم يتفوه بالكلمات الطيبة ، ولم يضحك فى حضرتنا .
(هل يبتعد الفقراء عن الساحة ؟ لم هذا الجمع الصاخب ؟) سرداب النار يؤجج فى الغيرة ، والأصوات الليلية تهتف فى صوت مذبوح ، ذبحته السكرة فى لغو الكلم الفاجر (غابت عنا الشمس الى أين تسافر ؟ قل لى والأيام تمر ، وأنت بعيدا عنى ، تمضغ أشعارك ، والنهر يسافر ويغيب أحاوره ـ قل لى هل ترجع ثانية بالخصب ؟ ـ أراك تشيح بوجهك عنى ، وزهور ربيعى تذبل واحدة بعد الأخرى ، والرأس اشتعلت شيبا ، وتظل العينان معلقتين تجوبان الآفاق وترتقبان .

★ هأنذا أشعل من زيت دمي مصباحا (مزق سيف الكفرة أوردتي) أصنع فجرا ، أبحث عن قمر يشرق في دنياكم ، ويعيد اليها بعض رواء أبحث عن مصباح يهديكم في طرق الليل ، دمائي قد سفكت قهرا في طرق الفجر ، وهذي خطوات القتلة تتعثر في الأبهاء وتفزعني أقداح دماء قد شربوها في ليل لم يعقبه صباح) ياأحمد ياقمر الليل أيا محبوبي ، أنقذني من ظلمات تتكاثف حولي ، أشعل في الحب ، وخلصني من موت يغتال حياتي قهرا ، أشعل في الرغبة في الانشاد ، وفي تغيير العالم ، هات القرآن لأتلوه الليلة ياقمر الصيف النشوان

★ لن نقضي هذا العمر بكاء وعويلا ، قل لي : ان الشمس قريبا ستعود الينا ، تطرق أبوابي ، تأسوا جرحا يمتد بعمق الصدر تهدهد فينا الحلم الأخضر، ترفض فينا اليأس ، وتسقط من ذاكرة الليل بقايا الأحزان .

★ صوت كان يغني ، والكافر يذبحني ، والعينان كقنديل أطفأه السهر ، ضحكت ولم أسمع شيئا ، وامتلأت طرقاتك يابغداد الليلة بالأثواب اللامعة القزحية ، صرخوا ، فزعوا شربوا الكأس ، تمطى

فى داخلهم عقرب بغض يزأر : نقتله ، والشمس تسافر ، أجلس قلقـا ، أتمطى فـزعا ، أتعـرى حرمانا ، تأكل رأسى أسراب البوم ، وأحلم بصديقى يوسف يخرج ينقذنى من بقرات سـبع يجتزن جبال الوهم وياكلن سمان البقرات ..

فقل لى : هل ترجع ثانية ، عيناى تسمرتا فى الليل ، تدوران وترتقبان الآتى . ماهذى الظلمة ؟ قل لى ياأحمد : هل يشرق ثانية فينا النـور ، وهل حقا ماأسمع ، صرخات الصمت ترج ضلوع القلب أراه يرفرف مكسـورا وذبيحا ظـل يعـانى تحت القضبان .

★ ياقمر الليل أيامحبـوبى ، أطلق فرس النشوة فى دربى ، حطم شـبح الموت وأطلقنى من خنـدقك ، وأنقذنى من جبل الحقد المتربص فى أعينهم ، انى فى نهرك أغتسل الليلة ، ألقى بالوجه المكدود الحالم فى نهر النشوة ، أقرأ (آيات التـوبة) ، والصـوت الفاسـق يخـرجنى من حضرتك ويذبحنى قهرا ، يفزعنى ، من أخفى عنا القمر ، وقتل الشمس وسكب دموع اللوعة والأحزان ؟

★ تلك عمائم أشياخ المنشقين أراها تتربع فى خيلاء فوق رءوس حشيت بالقش وبالأفكار السوداء وبالرغبات السرية ، والقمر الليلى أراه يحدثنى عمن وضع القيد بأيديهم ، كبلهم ذات مساء ، والقمر يسافر يبعدنى ، والليل يطوق عنقى ، وخيول (أبى جهل) .. تقتحم حصونى ، وتهاجم ، وتكر فتردينى تحت النقع ، فأبحث عن وجهى الضائع تحت سنابك خيل الليل ، يقول الصحب : غفلنا ، لم نتأمل ، ماتت رغبتنا فى النور فمات الشيطان .

١٩٧٦/٥/٩

عنترة والعاصفة

ـ ١ ـ

في هذا اليوم الصائف كان يدور
في شارعنا المترب
يبحث عن قوس قزح
والأرض السوداء
متشققة عطشى
ثمة عفن ينشر أجنحة زرقاء
فوق مياه الجدول
والبط البرى
ينفض آثار الأتربة المتبقية من الفجر العاصف

ـ ٢ ـ

ياعنترة العبسى
كنت صديقا لى
حتى فجر اليوم

كنت تمد يديك
تمسح عن عينى النوم
فأبصر أكثر من ذى قبل

- ٣ -

هأنذا أبصرك أمامى
فى شارعنا المظلم
وجهك مرتاع
هل تبحث عن شىء ضاع ؟
هل تبحث
قل لى :
لم أنت حزين ؟
هل يقدر كل النكد وحزن الأيام السوداء
أن يقصى بسمتك الصافية الخضراء
عن جمع الأحباب التعساء ؟

- ٤ -

ياعنترة العبسى
يانبع الرقة والحب
يادرعا فى الأيام الهمجية

ها قد أقبل زحف القردة ··
يغتال البسمة والحب ولعب الأطفال
وأغانينا البيضاء
وزهور حدائقنا الخضراء
ماذا أعددت لهم
ياشاعرنا الصب ؟
هل خبأت العاصفة بصدرك
أم ستواجه قبح زمانك بالحب ؟

ـ ٥ ـ

ياعنترة العبسى
هذى رائحة النوم
تملأ أرجاء البيت
وأنت
ماذا تحمل عيناك
ماذا تخفى فى صدرك
من أنباء للقوم ؟

١٩٧٨/٥/١٣

الشمس والبحيرة

ـ ١ ـ

★ ركدت • أمواه بحيرات الشوق ، وأقبل حزن العمر على ظهر جواد الشهوة ، بحثت أعيننا عن أصحاب الرحلة فى طرق الليل ، فقالوا : لن نرجع ، فضحكنا هل يرحل عنا الليل ، وهل تأتينا شمس صباح ثانية، خرجت خطواتى من جدران الليل وكنت وحيدا كالشبح الهارب ، كانت همساتى لاتذهب في الريح، وقلبى مجروح :

مامن لفظ أنطقه الا والكاتب حبى يقرؤه فى قرطاس مفتوح •• ضاعت أيامى الماضية ومات غدى فى الفزع المقلق ، ما من لفظ يصدر عني الا و «السيد» يوصى الحفظة بالتسجيل •

★ كان صديقى فى الأيام الخالية الشوهاء ، وكان يدارى مايبدو منى من خطأ أو شين •• من العام وراء العام ، وجاء صديقى مبتسما ، يشحذ سكينا يقتل

فى الهمس ، ويبنى مستقبله الأمجد فوق ركام الجهل وعار التخييل •

ـ ٢ ـ

★ الناس نيام ، لايجرؤ أحـد أن يرفع عينا يستطلع وجه الشمس ، وهذا الصقر الغائب عاد يدق علينا باب البيت ، ولكن : من يفتح للطارق فيكم ؟ أنتم تستلقون على الظهر ، وتلهون بقول الشعر ، وهذا النبع الصافي فى العينين يجف •

★ والبسمة فوق الشفتين تغيض ، وهذا الرمل الحارق يشعل فى الأضلاع النار فأبصر خطواتى تتعثر فى طرق اللهفـة ، والموت يبعثر خطـواتى فى الطرق الفظة ، والقلب الواجف فى جدل مع خطوات الصحب المفزوعين ، وأعبر هذا الفاصل ، أبصر فى وجهى : حد السيف !

ـ ٣ ـ

★ هأنذا فى طرقات الوحدة ، يذبحنى سكين الخوف ، ويطفىء فى البسمات :

★ هأنذا أبحث عن ظلى فى أمسى الغابر ، فى اللحظات المذعورة ، في نبض الآت ٠

ـ ٤ ـ

★ الظل يغنى رغما عنى ، يرفع وجها للسيف ، ويضرب قدما ثابتة في الأرض ، ويصدح : رأسى مرفوع للريح ٠

★ الظل يثرثر للشمس ، يغازلها ، هل تسمع من خرج يصيح ؟

ـ ٥ ـ

★ وأنا مذبوح الصوت

★ من ينقذنى من هذى الطرق المفتوحة فى أعلى قمة جبل الموت ؟

١٩٧٦/٥/٦

مرثية نبى انفض أنصاره من حوله

١ ــ مادار بين النبى وصديقه الأخير :

في هذا القرن العشرين
في هذا العصر المجنون
تتعالى الصور الكربونية فوق الأصل
وأنا مدفون
قد زلت بالقدم النعل
أحلم بالكلمات النار
تفتح شباكا
يدخل منه الاعصار
تعلو سيقان الكلمات الرفض ــ وتعلو
حتى تطمس هذا اللغو الثرثار
أحلم بالقمر الأخضر
يطلع ثانية فى الليل الممتد

(×) من وحى مقطع من مسرحية صلاح عبد الصبور «ليلى والمجنون».

وصديقى ـ توأم نفسى ـ يحتد
(الكلمة لم تصنع مستقبلنا
لم تبن المجـد
...
لكنى ألقى بالقفاز ـ الكلمة
فى وجه صديقى
وأنا أسرع ، أبعد عنه الخوف :
ـ خطواتك مع خطواتى فى نفس طريقى
ـ تعنى أنا متفقان ؟
ـ الفرق يسير
لكن صديقى يفهم أنى أحرجته
فأراه قعيدا مهموما
يبحث فى قاموس الكلمات ـ النار
عن أدنى ثغرة
حتى يبدأ منها التفجير
ويقود الثورة بالتدمير !
٢ ـ ماقاله النبى لصديقه وهو يحاول أن
يثنيه عن عزمه بالرجوع والنكوص على الأعقاب :

أسفت لأنك بعد الولادة
تعود الى القبر تقتل نفسك
وتجهل أنا ...
آتينا الى عالم جاهل ...
لنبعث فيه الحياة
وتجهل أنا عبرنا
جميع الموانع
وتجهل أنا أردنا
حياة لكل البشر
وأنا ــ مقابل ذلك ــ
سنحظى بأجر الشهادة

٣ ــ خاتمة : ماقاله الصديق للنبى المهزوم وهو يعلن عن تراجعه :

كلماتك فى الليل غطائى
كلماتك ــ فى وهج الشمس وتحت الأمطار ــ ردائى
لكنا ــ ياسيدنا المبعوث بفضل الكلمة والحرف
لم نعط السيف
لكنا ....

أعنى أنك قد أعطيت كلاما براقا

قد يستهوى الانسان

يحلم أن يملأ دنيانا حبا

وأمـان

يحلم أن يجعل غدنا أفضل

فى سلم واطمئنان

يحلم أن ينتزع من بين الناس الحقد

ويزرع بينهمو الحب

لكنك لم تعط السيف

ولهـذا

ـ أخشى ما أخشاه ـ

أن نقتل فى شمس الصيف جهارا

فالكلمة لاتحمى الانسان وبالا وشنارا

ولهـذا :

ياسيدنا المبعوث بفضل الكلمة والحرف

اما أن تحمل سيفا

أو تتخلى عنى

أو أتخلى عنك

لكن احذر ياسيدنا المبعوث
أن تجعلني للأصحاب شعارا ...
للصديق المطعون بوخز الكلمة
والكاسب بعد التعب وبعد الجهد المشكور العارا
أخشى أن ترجمني في الظهر كابليس
أن تجعل مني أحدوثه
بعد مساعدتي الصادقة بما أملك من مال ونفيس
أخشى أن تأتي في الصبح بنعش يحملني حيا
أو تأمر أصحابك أن يأتوا بالقش وتحرقني
أخشى بعد سنين عشر ألا تفهمني
فأنا ...
قد أخرجت السيف من الغمد
ليـدافع عني

١٩٧٥/١٢/٢٦

ثلاثة أصوات

ترسم النهاية

(إلى سر بدر شاكر السياب)

١ ــ نقوش أخيرة فى سراديب الذاكرة :

انى أحمل فى القلب حكايا وتراتيل
وباقة أشعار خضراء ،
وتغريدة عصفور ،
أطلقها فى أفيائك يا «لندن»
حتى تسكب موسيقاها
فى شريان الشجرة «اقبال»
ويهدر قلب أخضر :
« عاد يغنى ، يمشى مرفوع الهامة ،
يطرق أبواب الفجر
ويجلس مع أصحاب صباه مساء

قدام الدار
وأنت (بويب) حزين
قل لى :
لم لاتثمر أشجار حدائقك اليابسة ،
لماذا لاينطلق العصفور بنار الوصل
ويحرق تذكارات (الأقنان)
التعسة والحلوة ؟

ـ ٢ ـ

انى أبصر أنثى
تعطينى شجر الماء
وتخرج من هذا الصدر الضخم ثمار الوعد
وتخرج من ذاكرتى
رعب ليالى الثلج
وبضع أهازيج تضمخها العتمه

ـ ٣ ـ

ليتك يا (اقبال) تجيئين
فانى أمسك بزمام اللحظة

أستحضر أياما أنهكها التجوال وضاعت
آفتح دفتر لحظتنا
فتضيء النخلة
تمنحنى رطب البصرة
والأقيال ــ القش يعودون
فمهما كانت قوة ابصار الجدة (ميدوزا)
فاللحظات الفظة لاتتحجر فى الذاكرة مساء ،
أو تمضى
بل تبقى تيارا
يعقد بين اللحظة والقلب الطيب برباط
ينسرب الى المستقبل
فى شريان القلب
ويصنع حلمى
فى القادم من عمرى
وبدون ألم ٠

٢ ــ أحلام صغيرة

أبى ، فى مساء قديم
تهاوى على «الدكة» العاصفه

تذكرت من أبعدوه عن التمر ،
عن نخلة المهجة المستبدة ،
من أغرقوه بليل الدسائس والحمحمه
وكانوا قساة القلوب
فمدوا سرابا من الوعد ،
قالوا : تعود مع الصبح حقل عبير ،
فذاب حنينا
الى العشق والأوجه المظلمة !
تذكر عهد بواكير عهر
تمدد فى القلب ،
أثمر جمرا .. رؤى باهته
وجاءت طيور من الشرق والغرب
(كانوا قساة) .
تهاوى مع الليل ،
لم أتقبل عزاء الفقيد
فهذى بقايا الحبيب
أراها نقوشا على الجدر الميته

★ ★ ★

أنا خائف ،
وليلى طويل ، كيومى
(وتبزغ فى الظلمة المشرئبة
هالة ضــوء
تحيط بصورة من يتراجع فى الطرق الساكته)
وهذا جوادى وذى خوذتى ،
أفتح البــاب ،
أقفز فى النقع ،
أقبــل ٠
أنا فى المساء الغريب غريب ،
أنا فى البلاد العريقة أعلك ثلج الليالى
وخطوتنا المستباحة ،
تفزعها فى الضباب الرؤى الباهته
ـ فماذا بكمك ؟
ـ عقد زهور
٠٠ وقصة نار تباركها الأرض ،
حين تشب بقلب الهشيم
فينطلق الطير فى فرحة

وأبصر أنى بحقل عبير
وأن أبى يمتطى حلمه
ويجـرى ...
ـ فماذا ستحمل فى السلة اليوم ياأبتاه ؟
ـ من الشعر أحمل باقة نور
.. سأسكبها فى الليالى الكئيبة
والمدن الراجفه .
أظل أغنى ،
ويمتلىء الليل بالأنجم المانحه
وصوتك عذب الرنين
نغنى ،
فتكبر فى القلب هذى المدائن
نرسم حبك فوق الذراع ، الأمان
ووشمك ـ يبهر هذى الجموع ـ
براعم نار
وأنت ببسمتك المشتهاة امنحينا الأمان
فقد أفزعتنا ليالى الردى
ووجهك يصمد فى النقع

لم يرتعـــد
لم يهز القلوب بصرخته الواجفه
وأنت حبيبة روحى ، تعالى
ستعطى الحيـــاة
نطرز هذى الفصول برغبتنا فى العطاء
وانى الفــداء ٠

٣ ــ صوت أخير :

طرزت فصول العــام
بزخم الرغبة واللهفة ٠٠

٠٠٠

من أجلك كان الشعر ، وكان النبض
وكانت سوقى تحلم بالســير
هذى الظلمة تغمرنى
أنى وحدى قدامك
لايؤنســـنى الا طيفك
فى ســنوات الجــدب

★ ★ ★

بنــدول الساعة يعصف
فى دقات القلب
بدقات عاصفة
تن
تن ..
تن
صوتك يعصف بى
حين يرح القلب العاشق بنداء الرغبة
يا اقبــال .
(الصدى)
المطر يرخ على الأبواب
وأنا أنتظرك
فمتى ترجع ياسياب

١٩٨٠/٢/١٧

الجنــون القــديم

ـ ١ ـ

اننى أستعيد الليالى
محملة بثمار الوعود الجميلة
لن تتأبى الحبيبة
تشرق شــمسا
ترى هل يعود الجنون القديم
تصير الحبيبة وردا ونارا
وتختنق اللحظات
وما بيننا يتلاشى ؟

ـ ٢ ـ

يقول حميد ســعيد
« ان طيورا من العشب بينى وبينك
تنقر بابى مع الفجر »

حتى اذا أقبل الليل
جاءتك واستوطنت
حلما لم يفارق سريرك »

. . .

وقلت : الليالى ···
تموت على بابنا ·
تموت الطحالب ···
فى الزرقة الكابيه

ـ ٣ ـ

اننى أستفيق من الوهم
وذاكرتى تستفيق
«الأغانى التى هرمت تستعيد طفولتها»
« ويعود الجنون النبيل »
« فأرحل فى مدن الأرض »
بين الفيافى ·

— ٤ —

تقول الزهور التى أدمنت حبنا

ترى هل يدوم الجنون القديم

تصير الحبيبة وردا

وما بيننا يتلاشى ...

وما .....

١٠/١٠/١٩٨٠

• ثلاث قصص شعرية
للأطفال •

الفيل الوفى

اسمع ما أحكيه الآن
فأنا فيل عاش سنين كثيره
ورأيت كثيرا من أيام البهجة
وكثيرا من أيام الحرمان
أحكى لكم الآن
ما مر بنا فى العام الماضى
قبل وأثناء الفيضان

★★★

فى يونيو الماضى جف النهر
مات الزرع
ونفق الضرع
ولهـذا
صرت أهيم على وجهى فى أرض الله
أبحث عما آكله
فالقيظ شديد والخير شحيح

ولقد كنت

أحمل فى جوفى الجوع وفى الأحشاء الآه

اقتربت منى سيدة فاضلة سمراء

نفضت عن كتفيها بعض الأتربة

وكانت تبدو فى اعياء

مدت لى بيديها السمراوين الخضراوات

أكلت

وتقدمت اليهـا

لأسـاعدها

فيما تعمله

وابتسمت ، فتقدمت

نطقت . . قالت : انى أقدر أن أعمل

شـكرا لك

كانت عيناها الباسمتان تقولان

لم أتقدم بالخضراوات اليك الآن

كى تحمل عنى

أو تعمل بدلا منى

انك لو تعمل هذا ، تتعبنى

طلبت منى
أن أحضر كل صباح للحقل !
مرت بعض الأيام القائظة وكنت
أتقدم كل صباح
للسيدة ·· فآكل ، وأساعدها
والسيدة تقدم لى مايكفينى فى الليل
وأعــود
أحمل فى قلبى الشكر
أتمنى لو أقدر أن أفعل شيئا
للسيدة السمراء
وحكت لى قصتها ذات صباح
الاسم : رايارام
أرملة تقترب من الخمسين .. .. ..
ذهب الأطفال مع الزوج صباح العيد ··
الى القرية مبتهجين
ليزوروا عمتهم (نيرمين)
ماتوا فى حادثة بشعه
اذ غرقوا فى النهر جميعا

بقيت (دايارام) وحيده
تشرب من مر وحزن الأيام
تزرع قطعة أرض خضراوات
وتعيش
فى كوخ فى طرف الأرض
وتعانى من قسوة جار
يدعى (ساوارام)
أنا أيضا مع رفقائى الأفيال نعانى منه
كان يرى الأفيال
تخترق حقول الخضراوات
فيرشق أسلاكا أو أشواكا تدمى أرجلنا
حين نمر بأرضه

★ ★ ★

ذات مساء كان شديد الاظلام
فاض النهر
وأغرق أرض الوادى كله
كانت (دايارام) المسكينة نائمة فى الكوخ
فطرقت الباب

وأشرت الى النهر
لكن المسكينة ضحكت
كانت تحسب أن النهر أتى بالخير
ورأيت البسمة تعلو شفتيها
فصرخت
وتنبهت المسكينة ساعتها
حملت ماتقدر ، ركبت فوقى
وجريت الى منطقة تبعد كيلو مترين عن الوادى
وقضينا أسبوعا
عدنا بعد الأسبوع الى الوادى
كانت جثة (سادارام) وراء الكوخ الأخضر منتفخه
حزنت (دايارام)
ونبشنا الأرض وواريناه
قلت لدايارام
هذا الرجل القاسى حاربنا
وضع الشوك لنا
كى يدمى أرجلنا
هذا الرجل القاسى كان يفكر فى قتلك

كى يأخذ قطعة أرضك
هذا قدر الله المحتوم لسادارام
ليس من الصدفة أو عبث الأيام
أن يأتى هذا الفيضان
بالخير لكل الناس
وليصرع (سادارام) الشيطان

مايو ١٩٧٧

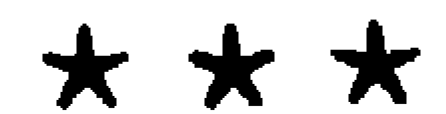
الثور العجوز

« فى أرض الهند العريقة • وفى عهـد السلطان المغولى المسلم «أكبر» جرت أحداث هذه القصة »

كان السلطان حبيب الشعب
يفتح بابه
فى كل صباح للفقراء
كى يسمع شكوى كل منهم
ولينصفهم
لم ينشىء قصرا فخما يجلس فيه
لم يجعل أسوارا عالية
تحجب صوت الشعب الهادر عنه
لم يجعل بين الحاكم والمحكوم وسيطا
بل علق جرسا ضخما
تتدلى منه حبال
لو أحد الأفراد أراد

أن يلقى السلطان
دق الجرس وقابله فى الحال !

فى يوم دق الجرس ..
ولما خرج الحراس
وجدوا ثورا أضناه المرض على الباب
يتهالك فى اعياء
حاول أن يدخل
لكن الحراس تصدوا له
وقفوا فى وجهه
نظر السلطان من النافذة
... فوجد الثور ووجد الحراس يصدونه
خرج السلطان الى الباب
يسأل حاجبه (بيربال)
عن سبب مجىء الثور اليه

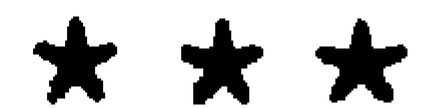


قال الحاجب : يامولانا السلطان
هذا الثور ضعيف

ذهبت صحته
خارت قوته
وتحير (بيريال) لبرهه
ثم أضاف :
هذا الحيوان
يطلب منك الرحمة والانصاف !
كان صغيرا
لما جاء اليك من السوق
لحظيرتك العامرة ، وأخذ يشارك فى أعمال الحقل
عمل كثيرا عندك حتى أضنته الأيام
لكن كبير الخدم وأعنى (بيليتز) الصخرى القلب
يطرده اليوم
ليهيم على وجهه

★ ★ ★

ابتسم السلطان وقال لبيريال
أنت أمين وشجاع
لم تخدعنى بالأقوال البراقه
أحضرى لى (بيليتز) الآن ·



فى الحـال
حضر كبير الخدم أمام السلطان
ـ هل هذا الثور لنا ؟
ـ قال كبير الخدم : نعم
لكن يامولاى
أصبح لايقدر أن يعمل شيئا فطردته
.. وهنا .. لم يصبر (بيربال) الحاجب
قال : اسمح لى يامولاى السلطان
أن أسأل بيليتز :
اصدقنى يابيليتز
هل لو مرضت زوجك
أو أحد الأطفال
تطرده من بيتك ؟
وأجاب كبير الخدم لتوه :
لا .. يابيربال
كيف بربك أطرد فردا من أفراد الأسرة
فأجاب الحاجب : يابيليتز
هذا العمل الأحمق لايرضي مولانا السلطان

لايمكن أن نطرد هذا الثور
قد خدمك طول العمر
والآن
وجب علينا الشكر
هل تغدر بالحيوان ؟
ضحك السلطان ، وقال :
هذا قول طيب
والآن
خذ ثورك يابيليتز واياك
أن تتركه فى الطرقات
يبحث عن مأوى أو مأكل
هذا الثور ضعيف
لايمكنه أن يتكلم ويدافع عن نفسه
هل تسمع ماقلت ؟

أخذ الرجل الثور وعاد
لحظيرته
صوت السلطان يرن بأذنى بيليتز

« يابيليتز » تعلم أن تحترم الطاعن فى السن
اوتوفر سبل الراحة له
وخصوصا لو كان من الحيوان الأعجم
لايعرف أن يتكلم
كم من جاهل
نبصره يضرب تلك الحيوانات بلا رحمة
مع أن الحيوان يؤدى أعمالا صعبه
لايطلب أجـــره
لو نطق لكشف لنا
ظلم الانسان وشره ٠

يونيو ١٩٧٧

ملجا الأيتام

اسمى «قوندان»

أتحدث معكم عبر قرون التاريخ

من بلدة «فاناراسى» الهنديه

أصنع سجادا وأزخرفه كعروس

تعرفنى كل المدن وتعشق مصنوعاتى

فى أثناء الأسفار

أجد الأطفال عرايا يفترشون تراب الأرض فأحزن

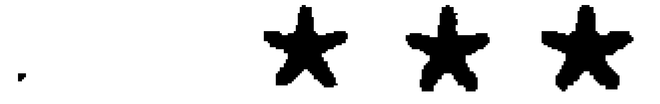
أتمنى أن يجد الأطفال بيوتا

تحميهم من حر الشمس

وتقيهم شر الأمطار

لكن ـ ماذا أفعل ؟

ماذا يمكننى أن أفعل ؟



بالأمس

جاء الى السوق الفارس (شارولات)

كان يرافقه قارع طبل الملك وأعلن فى الطرقات أن الملك ينظم فى غـده أمسـية للقصص وللأشـعار والفائز فى هذى الأمسية سيأخذ ألفى دينار

حان الوقت

ووقفت أمام الملك كثيرا أنتظر الدور

قال الشعراء الشعر

وقال القصاصون حكايات

لما أدخلنى الفارس (شارولات)

قلت :

افسح لى صدرك يامولاى السلطان

« كان ..

ياما كان »

فى يوم من أيام الصيف

ذهب «سمارا» النجار لقطع الأخشاب من الغابه

فاقترب الفارس منه وقال

أرجو أن تبتعد الآن

فالملك سيأتى بعد ثوان ، فى موكبه الملكى
وقف «سمارا» خلف الأشجار
يرقب هذا الملك المحبوب
وتصادف أن جلس الملك وأصحابه
فى ظل الشجرة
أغفى الملك قليلا
فتشاجر رجلان
وصحا الملك سريعا مفزوعا
وهو يقول :
« لا أقدر أن أغفو أبدا
فى ظل مكان تصطحبانى فيه
لا أدرى أيكما الملك وأيكما الشيطان »
فى هذا الوقت
لمح الملك خيال «سمارا» النجار
فأشار اليه
حضر النجار ، ووقف شجاعا بين يديه
قال الملك : لماذا جئت هنا ؟
قال «سمارا» :

انى أسمع عن عدلك
ولذا أحببتك
مثل جميع رعاياك
كان الحلم الشاغل ذهنى
أن أبصرك وأستمتع بك
ولقد جئت ليعرف مولاى الآن
هذين الرجلين :
أيهما الملك وأيهما الشيطان ؟

* * *

رسم «سمارا» خطين
أحدهما أكثر طولا من صاحبه
وتوجه للشخصين
كيف يصير الخط الأقصر أطول من صاحبه الأكثر طولا ؟
قالا في صوت واحد :
« نمسح جزءا من هذا الخط الأكثر طولا »
ضحك «سمارا» النجار ، وقال :
ـ لا ...

لايلمس أحدكما هذا الخط الأكثر طولا
فدعاه وشأنه
العاقل من يجعل هذا الخط الأقصر أكثر طولا
حين يضيف
بعض السنتيمترات
وابتسم الملك وقال : أصبت
ان الانسان
لايقدر أن يصبح شيئا فى هذى الدنيا
الا لو قدر يضيف
بعض اللبنات ويسعى للخير
لاتمح الشخص الآخر
بل حاول أن تتفوق وتضيف الى مايفعله الغير !
فرح الملك وقال :
انك رجل عاقل
أنت من الآن «وزيرى»

★ ★ ★

سر الملك من القصة
أعطانى ألفى دينار

شكرا للأقدار
فسأبنى ملجأ أيتام
لن تجد الأطفال عرايا بعد اليوم
ها أنذا أقدر أن أفعل شيئا
من أجل قلوب تتعذب ، ونفوس

...

فى وقت فراغى
ستراني أصنع سجادا
وأزخرفه كعروس

يونيو ١٩٧٧

الفهـــرس

للشـــاعر ..

١ ـ حوار الأبعاد الثلاثة ـ شعر (مشترك) ط ١ ١٩٧٧
ط ٢ ١٩٧٩

٢ ـ السقوط فى الليل ـ شعر ـ اتحاد الكتاب العرب بدمشق ١٩٧٧

٣ ـ ثلاثة وجوه على حوائط المدينة ـ شعر كتاب الغد ١٩٧٩

٤ ـ شجرة الحلم ـ شعر سلسلة المواهب ١٩٨٠

٥ ـ أوراق من عام الرمادة ـ شعر أصوات ١٩٨٠

٦ ـ عوض قشطة حياته وشعره ـ دراسة كتابات الغد ١٩٧٦

٧ ـ القرآن ونظرية الفن ـ دراسة دار آتون ١٩٧٩

٨ ـ دراسات معاصرة دار آتون ١٩٨٠

٩ ـ رباعيات كتاب أصوات ١٩٨٢

١٠ـ الرجل الذى قال . مسرحية شعرية . أصوات ١٩٨٣

● تحت الطبع :

١ ـ الرحيل على جواد النار . شعر ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢ ـ سبع سنابل خضراء . شعر .

مطبوعات

المجلس الأعلى للثقافة

رقـم

- ٢٧٧ -

القـاهرة

١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٢٠٦/١٩٨٤

ISBN ٩٧٧ – ٠١ – ٣٠٦ – ٣

